المجاز

(تابع لما في الجزء الاول)

اما الغرض من الاستعارة فحاصل ما يؤخذ من كلامهم انهُ ينحصر في ثلاثة اوجه احدها المبالغة في وصف المشبَّه بالمعنى الذي اشترك فيهِ طرفا التشبيه كما في استعارة الاسد للرجل فانها تتضمن الحاقهُ بجنس الاسود حتى صار كانهُ واحدٌ منها وهي غاية ما يمكن بلوغهُ في الوصف بالشجاعة . والثاني الزيادة في ايضاح المعنى بنقلهِ من الصورة العقلية الى صورة حسّية كما في استعارة النطق للدلالة واثبات الجناح للسفر فان فيهما من ابراز الدلالة العقلية في صورة اللفظ المسموع وتمثيل السفر بصورة ذي الجناح ما يزيد المعنى قوةً وظهوراً . والثالث الاكثار من الالفاظ المترادفة تبسطاً في اللغة واسترسالاً في طرق التعبير وذلك كما تسمى الخوذة التي تُلبَس على الرأس بالبيضة وكما تسمى بالتريكة وهي بيضة النعام بعد ان يخرج منها الفرخ بجامع ما بين الطرفين من الشَبَه في الهيئة . وليس شيءٌ من ذلك يصلح لغرضنا في هذا المقام لان الوجهين الاولين يُقصَد بهما المبالغة في تصوير المعنى لا التعبير عنهُ باللفظ الموضوع لهُ وبعبارةٍ اخرى تأدية المعنى بلفظٍ اقوى دلالةً من لفظهِ الوضعيّ فحاصل كليهما المعاورة بين الفاظٍ موضوعة بعضها اقوى من بعض. والوجه الثالث مقصورٌ على تعدّد الوضع في المعنى الواحد فقائدتهُ تكثير الالفاظ على غير زيادةٍ في مدلولاتها . ولا يخفى ان كل ذلك انما هو من غرض البيانيّ دون اللُغَويّ ومما يتوخاهُ الشاعر ومن في معناهُ لا الكاتب

الذي يتطلب لكل معنًى لفظهُ المخصوص به . و بقي هناك وجهٌ رابع لم نجد من تعرَّض لهُ وهو التذرُّع الى الوضع فيما لم يوضع لهُ لفظٌ كما مرّ من تسمية البياض في العين بالكوكب فان هذا البياض لم يوضع لهُ اسمٌ في اللغة فاستعير لهُ لفظ الكوكب لما بين الطرفين من الشبه . وهذا هو المقصود من بحثنا في هذا الموضع لان غرضنا الوصول الى استنباط الفاظٍ للمعاني التي طرأت بعد الوضع الاول وهو احد طريقي العرب في توسيع لغتها بحيث ان ما لم يتهيّأ لها تناولهُ من طريق الاشتقاق على ما تقدم ذكرهُ في البحث السابق اخذتهُ بالنقل من طريق المجاز وهو اشتقاقٌ معنويٌّ كما لا يخفى

اذا تقرر هذا عُلم منهُ ان الذي يصلح لما نحن فيهِ الاستعارة التحقيقية دون التخييلية والذي يصلح من الاولى ما كان وجه الشبه فيها يفيد تصوير المعنى بصورةٍ تمثلهُ للذهن على حقيقتهِ او ما يقرب منها لا ابرازهُ في صورةٍ تعظّمهُ في الخيال و بعبارةٍ اخرى ما كانت زيادة قوّتهِ في المشبه به على المشبه من حيث الوضوح لا من حيث المقدار . وذلك كما في استعارة الكوكب للبياض في العين فان المقصود منها مجرّد المناسبة في الشكل اذ كلٌّ منهما نقطةٌ بيضاء يحيط بها سواد الا ان هذه الهيئة في النجم اوضح واشهر . والمراد بالتخييلية فيما ذُكر ما كانت فائدتها مجرَّد التخييل مثل جناح السفر فان الجناح لم يشبَّه بهِ شيء وانما قُصِد بهِ تخييل أن السفر مشبهٌ بالطائر فهو لا فائدة لهُ في نفسهِ ولكن فائدتهُ في غيرهِ كما لا يخفى . واما ان كان التخييل بشيءٍ قد استُعير استعارةً تحقيقية مثل نطقت الحال فيكون بحسب فائدة التحقيقية فان افادت مجرَّد المبالغة مثل استعارة النطق للدلالة

لم تكن من غرضنا ايضاً والا اعتُبرت الفائدة في اللازم وحدهُ وكان التخييل امراً خارجياً . واما الاستعارة بالكناية فلا كلام في انها لا تصلح لشيء مما نحن فيهِ لان المدار هنا على استنباط لفظٍ للمشبَّه وهو مذكورٌ فيها صريحاً لما علمت من ان الذي يُذكَر فيها هو المشبَّه لا المشبَّه بهِ فهي ليست من الاستعارة في شيءٍ وانما يُطلَق عليها لفظ الاستعارة توسعاً

ولما كان المقصود من هذا البحث وضع الفاظٍ لمعانٍ لم يوضع لها لفظٌ في اللغة بحيث تكون تلك الالفاظ عُرضةً للاستعمال كلما احتيج الى التعبير عن مدلولاتها لزم ولا بدّ ان تُلحَق باصل اللغة وتُستعمَل استعمال الالفاظ الموضوعة . ومتى صار اللفظ بهذه المنزلة واشتهر استعمالهُ بالمعنى المجازيّ عُدَّ حقيقةً عُرفيّة وتنزّل من المعنى الحقيقيّ منزلة اللفظ المُشترَك واذ ذاك يكون احتياجهُ الى القرينة لمجرَّد التمييز بين معنًى ومعنًى كما تحتاج بقية المعاني معهُ لا لمنع ارادة المعنى الحقيقي كما يكون في سائر انواع المجاز . واكثر ما تجد هذا النوع من الالفاظ مما كان وجه الشبه فيهِ حسّياً لظهور العلاقة فيهِ وبداهة وجه الشبه بحيث يتبادر معناهُ المجازيّ الى الذهن ويزاحم فيهِ المعنى الحقيقي . وهو اما ان يكون الهيئة المشخّصة لذات الشيء كما في استعارة الكوكب فيما ذُكر وكما يسمى غضروف الاذن بالمحارة اي الصدفة لمشابهتهِ لها في الشكل ويقال لهُ الصدفة ايضاً وكتسميتهم الهُنَيّة الناشزة في مقدَّم الاذن بالوتد واللحمتين المتدليتين في جانبي الحلق باللوزتين والبياض الذي في اصول الاظفار بالهلال وداخل الفم بالغار وهو الكهف واستعمالهم المآء للسيف والمرآة ونحوهما بمعنى ما فيهما من البريق والصفآء وكما تسمى

العقدة في طرف السوط بالثمرة والخط المستطيل من الرمل بالحبل الى غير ذلك

واما ان يكون الصورة المشخّصة للجزء من الذات كما يسمّى طرف المرفق بالزُجّ وهو الحديدة في طرف الرمح ومقدّم السفينة بالجؤجؤ وهو الصدر وخصّهُ بعضهم بصدر الطائر وهو اتمّ شبهاً . وكقولهم ذُؤابة الرحل للجلدة المعلّقة على آخرتهِ وكذا ذؤابة النعل وهي ما اصاب الارض من المرسل على القدم وكلتاهما من الذؤابة بمعنى الناصية وكما يقال فم القربة لمنفتَحها وكذا فم البئر والوادي وغيرهما وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق ويد الرحى والفأس وساق الشجرة وإبط الوادي ولُعاب الخطميّ وغير ذلك وهو بابٌ واسع . وقد علمت ان المقصود من ذلك كلهِ التشبيه بالاشياء المذكورة لذاتها غير منظورٍ الى الذات التي هي اجزاء لها على ما بيّناهُ في جناح الدار وان جاز ذلك في بعضها اتفاقاً . وذلك ان قولهم فم البئر مثلاً ليس المراد منهُ تشبيه البئر بالحيوان اذ لا وجه لهذا التشبيه وكذا قولهم يد الفأس وذؤابة النعل لا يراد منهُ تشبيه الفأس بالانسان والنعل بالرأس وهلم جرًّا بخلاف قولك لسان الحال ومتن الباطل وجناح السفر على ما قدّمنا بيانهُ

واما اللوازم المعنوية والمراد بها المصادر وما يُشتقّ منها فقد يكون وجه الشبه فيها حسيًّا كقولهم نبض البرق اذا لمع خفيفاً أُخذ من نبضان العِرق اذا تحرّك وضرب والجامع بينهما الهيئة المحسوسة من كليهما وان اختلفت الحاسّة . وكقولهم سبح الفرس اذا مدّ يديه في الجري تشبيهاً لهُ بفعل السابح في الماء . ورنّقت السفينة اذا دارت في موضعٍ واحد لا تمضي من

ترنيق الطائر وهو ان يخفق بجناحيهِ ويرفرف ولا يطير. وخطر الرجل في مشيتهِ اذا رفع يديهِ ووضعهما من خطر ان البعير بذنبهِ اذا ضرب بهِ يميناً وشمالاً . ويقال ايضاً خطر بسيفهِ او رمحهِ اذا رفعهُ مرةً ووضعهُ اخرى وهو مجاز المجاز . وقد يكون عقلياً نحو سرد الحديث اذا اجاد سياقتهُ مأخوذٌ من سرد الدرع وهو نسجها واستنبط المعنى اي اظهرهُ من استنبط مآء البئر اذا استخرجهُ واغضى عن الذنب اي تغافل عنهُ وهو من اغضآء الجفن ووعيتُ الحديث اي عقلتهُ وحفظتهُ من وعى الشيء في الظرف اذا جمعهُ فيهِ وهو كثيرٌ في اللغة بل اكثر اللغة يرجع اليهِ

وكثيراً ما تجد في هذه الالفاظ ما يلتبس عليك فيهِ تمييز المعنى الحقيقي من المجازي كالجوالح لما تطاير من رؤوس القصب والبردي شبه القطن ولقطع الثلج المتهافتة من الجوّ وكالكمام والكمامة لغلاف النوّر ولما يُشدّ على فم البعير وغيرهِ لئلاّ يعضّ والدرع لما يُلبَس من الزرد ولثوب المرأة والعجاج للغبار وللدخان ومثلهُ العُثان والعُكاب . وكقولهم جاش البحر اذا اضطرب وجاشت القِدر اذا غلت وحذَق الخلُّ فاهُ اي حمزهُ والرباطُ يدَ الشاة اثر فيها وحشكت الناقة لبنها جمعتهُ والسحابة كثر مآؤها وبزل الدنّ ثقبهُ وناب البعير طلع . والامثلة من كل ذلك في اللغة لا تُحصَى وفي القدر الذي ذكرناهُ كفايةٌ للمستبصر (ستأتي البقية)